حسن الصفار

مسؤولية الشباب

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

مَكتَبَة
لِسَانُ العَرَب
أ. علاء الدين شوقي
رابط بديل
lisanerab.com
www.lisanarb.com
twitter مكتبة لسان العرب
facebook مكتبة لسان العرب
instagram مكتبة لسان العرب

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
رابط بديل
lisanerab.com

حسن موسى الصفار

مسؤولية الشباب

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com رابط بديل

الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة للناشر

١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م

نص المحاضرة التي ألقاها المؤلف في شهر رمضان المبارك
١٣٩٨ هـ في القطيف ـ الجزيرة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

« أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنـا عجباً .

إذ أوى الفتيَة إلى الكهفِ ، فقالوا : ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً .

فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً .

ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً .

نحن نقص عليك نبأهم بالحق :

إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى .

وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقـالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً » .

الكهف ٩ — ١٥

الشباب

محـاولة فهم :

قبيل السنة الخامسة عشر من العمر، يقبل الانسان على مرحلة مهمة وخطيرة في حياته ، هي مرحلة الشباب ، والتي تستمر مع الانسان إلى عشرين أو خمس وعشرين سنة تقريباً .

هذه المرحلة هي (مرحلة الشباب) مرحلة مهمة وخطيرة . لماذا مهمة وخطيرة ؟؟

مهمة لأنها تتحكم في مصير الأمة ومستقبلها . فهؤلاء الشباب الناشؤون اليوم ، هم بالتأكيد مجتمع الغد .

هذا الجيل الموجود حالياً ، سيترك مكانه لهم بكل مناصبه وطبقاته ..

سيترك مكانه للجيل القادم ، للجيل الجديد ، وهم صغار اليوم وشباب الوقت الحاضر ..

فالعالم الديني اليوم بالتأكيد ليس هو عالم الغد ، حتماً سيترك مكانه ، وسيأتي شخص آخر من بين هؤلاء الأبناء الشباب ليحل محله ..

ومختار المنطقة الآن لن يكون هو مختارها في المستقبل ، بل لا بد وأنه سينتهي دوره ، ويموت ، ويترك مكانه لشخص آخر .

وكذلك رئيس البلدية والحاكم والأمير والوزير والتاجر . .

هذه هي طبيعة الحياة وهذا هو طريقها، يذهب أناس ويأتي بعدهم قوم آخرون . .

هؤلاء الآخرون الذين سيتسلمون أزمة المجتمع في المستقبل من هم ؟؟

إنهم شباب اليوم ، هؤلاء الشباب الصغار الآن سيكوّنون غداً المجتمع . .

لقد جمع الإمام الحسن بن علي عليه السلام أولاده ذات يوم وقال لهم : « إنكم اليوم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين » .

فإذا كان شبابنا اليوم صالحين ومستقيمين أمكننا أن نتفاءل بمستقبل جيد لأمتنا ومجتمعنا. وإذا لم يكونوا صالحين ولم يسيروا على الطريق المستقيم فهذا يعني أن المستقبل قد يكون سيئاً قاتماً.

وكما يقول الشاعر :

يا شباب الإسلام يا أمـل الشعب
وغصنـــاً يلفـه الاخضرار
إن يك اليوم عذركم صغر سن
فغداً أنتم الرجـــال الكبار
سوف يمضي الجيل القـديم رويداً
كله أشقياؤه والخيـــار
وتكونون أنتم قـــادة العصر
فهل فيكم يصح المسار ؟؟ (١)

فمرحلة الشباب مرحلة مهمة لأنها تحـــدد مستقبل الأمة ، مستقبل المجتمع .. ومن هنا جاء الاهتمام والتركيز على أهمية هذه الفترة ، في النصوص الدينية كقوله ﷺ :

« إن العبد لا تزول قدماه يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه » .

وهي مرحلة خطيرة ، لأن الشاب يعيش فيها وضعاً خاصاً

---

(١) من قصيدة للمؤلف في إحدى المناسبات .

من الناحية الجسمية والفكرية والاجتماعية ..

هذا الوضع الخاص الذي يعيشه الشاب في مرحلة الشباب ، إمّا أن يكون ضمن جو صالح وتوجيه سليم ، فيتجاوز الشاب هذه المرحلة وهو عنصر جيد فعّال ، تستفيد الأمة من وجوده ونشاطه ، وإلا أصبح عنصر فساد وإفساد ، يدمّر نفسه ويدمر مجتمعه ..

مميزات مرحلة الشباب

تمتاز مرحلة الشباب بعدة سمات ومميزات تتوفر في شخصية الشاب من جميع نواحي حياته ..

الناحية الجسمية :

في مرحلة المراهقة والشباب، يعلن جسم الانسان عن وصوله إلى مستوى من النضج والاكتمال ، حيث يأخذ الجسم هيكله الخاص ، وتتوفر فيه القوة ، ويضفي عليه قوامه جمالاً ورشاقة طبيعية .. ومن هـــذه الناحية يعبر القرآن الكريم عن مرحلة الشباب بمرحلة القوة ، قال الله تعالى : « الله الذي خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة ، يخلق الله ما يشاء وهو العليم القدير » . (٥٤ الروم) .

فيأتي الانسان إلى الحياة طفلاً صغيراً ضعيفاً لا يستطيع أن يكش الذباب عن وجهه، ثم يتجاوز مرحلة الضعف (الطفولة) إلى مرحلة الشباب حيث القوة والنشاط، ثم يستولي عليه الضعف مرة اخرى حينما يدخل مرحلة المشيب والشيخوخة .

وفي مرحلة الشباب تتفجر لدى الانسان غريزته الجنسية ، حيث يعيش الشاب ضغطاً داخلياً ودفعاً غريزياً مستمراً لإشباع هذه الغريزة وإروائها .

في المجال الاجتماعي :

بعد أن تجاوز فترة الطفولة حيث كان صغيراً يخضع لأوامر الكبار ، وليس له رأي ولا يمتلك دوراً . أصبح الآن شاباً يستشعر في نفسه القوة ، وتملأ جوانحه الثقة بذاته .. فيبدأ بالتفتيش عن دور يمارسه في المجتمع .

إنه الآن ليس طفلاً ، بل يشعر أنه رجل كامل الشخصية ويجب أن يلعب دور الكبار .

انتهى ذلك الوقت الذي كان يعامل فيه كطفل صغير، ينصاع لأوامر الكبار ويخضع لإرادتهم .. وأصبح هو الآن كبيراً له

رأي يريد ممارسته ، ودور يبحث عنه ليلعبه في المجتمع ويملأ به فراغه النفسي والزمني .

أما في الجانب النفسي :

ففي مرحلة الشباب تنشأ عند الشاب رغبة الرفض وروح التمرد ، كنوع من رد الفعل للمرحلة السابقة التي كان يعيشها في طفولته (كما سبق) حينما كان ينصاع لإرادة أبويه ، ويخضع لعادات مجتمعه دون أن يستطيع الاعتراض أو المخالفة .

فإذا كبر وأصبح شاباً قوياً أحب أن يمارس حقه في المعارضة والاستقلال .. من هنا تتكون عند الشاب روح التمرد وحب المعارضة والرفض .

وثمة ميزة نفسية اخرى تتصف بها نفسية الشاب في مرحلة الشباب والمراهقة .

وهي حبه للمغامرة واستعداده للتضحية .

فالشاب يغامر ويضحي . لماذ

لأنه لا يتشبث بالحياة كثيراً كالكبير .

فطبيعة الانسان كلما طال بقاؤه في الدنيا ، ازداد حرصه عليها وتشبثه بها .

أما الشاب لاعتباره لتو قد نشأ في هـــذه الدنيا ، فإنه لا يكون كثير الحرص عليها كالشيخ الكبير .

ومن الملاحظ في تصرفات الشاب : التهور والتطرف والمغامرة. أما الرجل الكبير فإنه يتحفظ ويتأنى في تصرفاته وأعماله .. فتجاربه تكسبه نوعاً من التحفظ والاتزان ، وأيضاً فحرصه على الدنيا لا يسمح له بالمغامرة .

وكمثال بسيط على هذه الحقيقة لاحظ سياقة الشاب للسيارة وسياقة الرجل الكبير !!

ينقل أنه في زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد قيل له :

أن هناك شخصاً عاصر النبي ﷺ وسمع حـــديثه ، فهو صحابي معمر موجود من عصر النبي ﷺ حتى عهد الرشيد .. فعمره يناهز المائة والثلاثين (١٣٠) عاماً .

فهو شخصية متحفية ، أحب الرشيد أن يلتقي معه ، فجاؤا به إليه محمولاً ، وسأله الرشيد : أأنت أدركت رسول الله ؟

– أحنى الشيخ رأسه مشيراً : نعم .

– هل سمعت حديث رسول الله ؟

– نعم .

– هل تذكر شيئاً من أحاديث رسول الله ﷺ ؟

– نعم .

– فحدثني بحديث تحتفظ به ذاكرتك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

– فقال الشيخ بصوت ضعيف جداً: سمعت رسول الله ﷺ ذات يوم يقول : (يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان : الطمع والأمل) .

وأمسك الشيخ عن الكلام ، فلا قدرة له على الاستمرار .

أمر له الرشيد بجائزة وهي مبلغ من المال وضع له على سريره ثم حملوه لارجاعه الى محله .

الرشيد يلاحظ ان شفتي الشيخ الصحابي كانتا تتحركان أثناء خروجه وكأنه يقول شيئاً .

أمر بإرجاعه فجاؤا بـه إلى جانب الرشيد ، سأله قائلا :

رأيت شفتك تتحرك عند الخروج كأنك قلت شيئاً .

قال الشيخ : نعم كنت أسأل الحاملين لي : هل ان الرشيد سيجعل ذلك جائزة سنوية يعطيني مثلها كل عام حتى أزوره في مطلع كل سنة ؟!

فضحك الرشيد وقـــال : لقد صدق رسول الله ﷺ في الحديث الذي نقلته : (يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان : الطمع والأمل) !!

هكذا يزداد طمع الانسان في الحياة وأمله في الاستمرار فيها كلما تقدم به العمر ، فيصبح متحفظاً متزناً في تصرفاته ، بينما يكون الشاب مستعداً للتضحية والمغامرة ، غير مبال بالأخطار.

وفكرياً :

يعاني الشاب غالباً في مرحلة الشباب والمراهقة من الفراغ الفكري ، وضعف الانتماء والانشداد .

ففي هذه المرحلة يتفتح عقل الانسان ، وتتفجر مواهبه ، ويبدأ بالتفكير الدقيق ، فترتسم أمام ذهنه الكثير من الأسئلة وعلامات الاستفهام عن الحيـــاة والمجتمع لا بد له من تحصيل

الأجوبة الصريحة عليها .

وهو لا يرى نفسه ملزماً بتقبل أفكار أهله وبيئته ما دام يستشعر الثقة بنفسه ، ويحب ممارسة دور الرفض والمعارضة ، ويميل إلى تحمل الأخطار والمغامرات .

وبذلك فالشاب مستعد لاعتناق أي فكرة جديدة مغرية مهما كانت خطيرة ومرهقة .

أما الكبير فإن له قناعات وأفكار يعيش الإيمان بها ويقدسها سنوات طويلة .. فهو لا يعاني فراغاً فكرياً ولا يشعر بالحاجة إلى عقيـــدة جديدة .. بل هو غير مستعد للتنازل عن فكرة طالما آمن بها وقدسها سنيناً طويلة .

ولذلك نجد أن كل الرسالات والمبادىء إنما تقوم على أكتاف الشباب فهم الذين يسارعون إلى الإيمان بالأفكار الجـــديدة ويستعدون للتضحية في سبيلها .

فنبي الله ابراهيم عليه السلام مثلاً حينما طرح دعوته التوحيدية في المجتمع ، من الذي استجاب له وتجاوب معه ؟

إن قومه يعيرونه باتباعه والذين هم مجموعة من الشباب الفقراء كما يحكي عنهم ذلك القرآن الحكيم حيث يقول تعالى :

«وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي»هود٢٧.

ونبينا محمد ﷺ إنما سارع إلى الإيمان برسالته جماعة من الشباب الصغار كعلي بن أبي طالب وبلال الحبشي وعمار بن ياسر وأمثالهم.

حتى أن شيوخ قريش اتهموا رسول الله ﷺ بأنه قد أفسد شبابهم وقالوا ذلك في شكواهم لعمه أبي طالب عليه السلام حيث قالوا: «ان ابن أخيك قد سبّ آلهتنا وسفّه أحلامنا وأفسد شبابنا».

وتأكيداً لهذه الحقيقة يقول الرسول الأعظم ﷺ:

«أوصيكم بالشبان خيراً فإنهم أرق أفئدة، إن الله بعثني بشيراً ونذيراً فحالفني الشبان وخالفني الشيوخ ثم قرأ فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم».

ويقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته».

كيف نستفيد
من مرحلة الشباب

تلك أهم مميزات مرحلة الشباب، ومصدر خطورتها وأهميتها.

وبالتوجيه الصالح والخطة السليمة يمكن الاستفادة من هذه المميزات واستغلالها في بناء الشخصية الإسلامية المطلوبة .. حتى يصبح شبابنا نسخة مشابهة لحياة الشباب الرساليين المجاهدين كعمار بن ياسر ، ومصعب بن عمير ، ومالك الأشتر ، وعلي بن الحسين الأكبر .

أما إذا أهملنا الشباب في هذه المرحلة الخطيرة ، أو أسأنا التعامل مع سماتهم ومميزاتهم النفسية والفكرية ، فقد نبتلي بجيل منحرف فاسد ، يضل الطريق ، ويضيع الهدف ، ويحطم مستقبل الأمة .

والسؤال الآن هو :

كيف نستفيد من مرحلة الشباب ، ونوظف مميزاتها لمصلحة

الشاب وبناء شخصيته الرسالية ، مما يجعله عنصراً فعّالاً في تقدم المجتمع ودفع مسيرة الرسالة إلى الأمام ؟؟

سنتناول بالتفصيل كل مميزات مرحلة الشباب ، ووسائل توظيفها وتوجيهها لبناء الشخصية الإسلامية ، لأبناء الأمة وجيلها القادم .

وسنرى كيف يمكننا استثمار كل ميزة من هذه السمات في الاتجاه الصحيح .

ضغط الشهوات
فرصة لتقوية الارادة

إذا كان أبناء الأمة يمتلكون إرادة قوية تتعالى على الشهوات وتقاوم الاغراءات .. فإن الأمة ستكون شامخة قـــادرة على مواجهة الأعداء ومقاومة المستعمرين .

وسوف لن تركع أمام إرادة الاستعمار .. ولن تخضع للظلم أو ترضى بالاستعباد .

والأمة إنما تتكوّن من مجموع الأفراد، فإذا كان أفراد الأمة مائعين خانعين منقادين للاغراءات والشهوات، فإن موقف الأمة وتعاملها مع الأعداء سيكون مائعاً خانعاً .

أما إذا كان أفراد الأمـة يمتلكون صلابة الإرادة ، وقوة النفس ، والقدرة على مقاومة الضغوط ، فإن الأمة بأبنائهـــا تستطيع المجابهة والتحدي، والوقوف بشجاعة وحزم ضد أطماع الأعداء وخطط الاستعمار .

ومرحلة الشباب فرصة جيدة ثمينة لتنمية الإرادة وتقويتها لدى أجيال الأمة لماذا ؟

لأن إرادة الانسان لا تتقوى بمجرد الوعظ والإرشاد ، وإنما بممارسة التحدي ، ومقاومة الاغراء والضغوط .

فالشخص الذي يجد نفسه أمام إغراءات قوية وتحت ضغط شهوات عارمة ، يمكنه أن يتربى عملياً على الصلابة والصمود ، وأن ينمي إرادته بالممارسة الفعليـة ، وذلك حينما يتسامى على الإغراءات ويرفض الخضوع لضغط الشهوات .

والشاب في مرحلة الشباب يعيش فترة التجربة والتدريب والامتحان لإرادته وملكاته .

فإذا توفر له التوجيه السليم ، والوعي الانساني الصحيح ، والأجواء الصالحة ، استطاع أن يجتاز هـذه التجربة بنجاح ، ويتخرج من هذا الامتحان بإرادة قوية ونفسية صلبة .

إن الشاب يعـــاني كثيراً من ضغط الشهوات ، ويتعرض لاغراءات مرهقة قوية .. ولكنه إذا تمكن من السيطرة على نفسه ، والحفاظ على عرضه..وقاوم كل تلك الاغراءات وتحدى ضغوط الشهوة الكبيرة الجامحة .. وخاصة في مجتمعاتنا حيث تتوفر أجواء الميوعة والفساد .. إذا تمكن الشاب من ذلك فهذا يعني امتلاكه لإرادة فولاذية ، ونفس صامدة ، تستطيع الأمة أن تعقد عليه آمال المستقبل .

وتطلق الأحاديث الشريفة على عزوف الشاب عن المغريات والمحرمات مصطلح التوبة والتي إنما تبرز روعتها في عفة الشاب واستقامته ، يقول ﷺ : « التوبة حسنة لكنه في الشباب أحسن » .

وعنه ﷺ أيضاً : « ما من شيء أحبّ إلى الله من شاب تائب » .

لماذا ؟ لأن الشاب باقلاعه عن المعاصي ، وضبطه لشهواته يمارس تحدياً قوياً ، يربي نفسه على الصلابة والصمود .

وحينما ندرس حياة عظماء التاريخ البشري ، نجد في أغلبهم أن مرحلة الشباب كان لها دور بارز في صقل نفسياتهم وتوجيههم

باتجاه العظمة والكمـال ، وذلك لأنهم استطاعوا التمسك بخط الفضيلة والالتزام، ورفضوا الانحدار إلى هوّة الشهوات وسحيق الانحراف ، رغم عنف الغريزة وتوفر الأجواء المساعدة على الفساد . .

وإليكم بعض النماذج من حيـــاة العظماء الذين استفادوا من مرحلة الشباب في تنمية إرادتهم ، وتقوية صمودهم النفسي أمام الشهوات والاغراءات . . وبذلك أهّلوا أنفسهم لتقمّص العظمة ولارتقاء سلم المجد والكمال :

١ - فهذا نبي الله يوسف بن يعقوب عليه السلام وقد افتقد حنان الوالدين وعطفهما ، منذ نعومة أظفاره ، فبعـد أن افتقد أمه تآمر عليه إخوته وألقوه في غيابة الجب ، ثم اشترته إحدى القوافل المصرية بثمن بخس ، دراهم معدودة .

وشاءت له الأقدار أن يعيش مرحلة الشباب في بيت عزيز مصر ، ومع زوجته زليخا ، والتي أغرمت بجمال يوسف المشهور واستقر عشقه في قلبها ، وكان البيت خالياً من أي مزاحم ، والأجواء مهيأة لتنفيذ خطة الشيطان .

تصور نفسك أيها الشاب ، في موقع نبي الله يوسف عليه السلام ،

وفي مثل هذه الأجواء المشجعة على الانحراف ، فماذا سيكون تصرفك ودورك ؟

وفي الواقع فإن أكثر شبابنا يتعرضون للاغراءات التي تعرض لها هـذا الشاب العظيم يوسف ، ويعيشون نفس الأجواء التي عاشها ..

وعليهم أن يتخذوا من يوسف قدوة وأسوة ، يقتدون به في تحديه لتلك الاغراءات ، ومجابهته لتلك الأجواء ، فكيف كان موقفه هناك ؟

إن القرآن الكريم ببلاغته العظيمة وأسلوبه السماوي ، يقص علينا جانباً من تلك الظروف الخطيرة التي عاشها نبي الله يوسف عليه السلام ، وفي منزل عزيز مصر ، ومع تحرشات زوجته زليخا.. يقول تعالى :

« وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ، وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ، ولنعلمه من تأويل الأحاديث ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٠

ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين .

وراودته (طلبت منه ممارسة الحرام) التي هو في بيتهـــا (زليخا زوجة عزيز مصر) عن نفسه ، وغلّقت الأبواب (حتى لا يهرب منهـا) وقالت : هيت لك (إني متهيأة لك) قال : معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون » .

ويستمر القرآن في سرد بعض تفاصيل القصة ، لأهمية الموقف إلى أن يقول عن لسان زليخا زوجة عزيز مصر :

« ولقد راودته عن نفسه فاستعصم (امتنع) ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين .

قال: رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه (من الانحراف) وإلا تصرف عني كيدهن أصبُ إليهن وأكن من الجاهلين .

فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم» .

« سورة يوسف »

وهكذا طلب يوسف من الله ، أن يعينه على مقاومة ضغوط الشهوة ، وأجواء الانحراف ، واستجاب الله تعالى وتغلب على تلك الظروف ، ولكنه تحمل قسوة السجن الطويل ، بإرادة قوية ونفسية شجاعة .

وهكذا يجب أن يكون الشباب الصالح ..

٢ ـ وثمة قصة رائعة ينقلهـــا التاريخ بإكبار عن السيد (ميرداماد) المشهور في إيران :

فقد كان شاباً يافعاً يطلب العلم في إحدى المدارس الدينيـة في طهران ، وفي إحدى الليالي وبينما كانت بنت شاه إيران في ذلك الوقت، تسير في الشارع مع جواريها وخدمها، إذ أمطرت السماء مطراً غزيراً، وهبّت رياح عاتية قوية، فصارت كل واحدة من جواري بنت الشاه تبحث عن ملجأ لنفسها، إلى أن أصبحت بنت الشاه وحيدة في الشارع في ذلك الجو المزعج المخيف .

ورأت باب المدرسة مفتوحاً فدخلت المدرسة ، وطرقت باب غرفة السيد الشاب ، والذي كان يتدفأ بحرارة شيء من الجمر ، يدفع به البرد القارس .

وشرحت للسيد الشاب قصتها ، فهي فتاة ضائعة تريد ملجأ يستضيفها ريثما يهدأ الجو وينبثق نور الصباح .

فلم يرَ السيد بدأً من الاستجابة لها ، وأدخلها غرفته حيث جلست في زاوية ، وجلس هو في زاوية أخرى .

وبعـد أن ذهب قسط من الليل بدأ الشيطان يمارس دوره الخبيث في مثل هذه الأجواء .. كما ورد في الحديث :

« ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما » .

أصبح الشيطان يزين للسيد الشاب اغتنام الفرصة ، وممارسة الشهوة الحرام ، فالجو مهيأ والباب مغلق ، ولا تمتلك الفتاة أي وسيلة للدفاع والامتناع ..

ولكنه وهو الشاب الصالح الواعي صار يفكر في وسيلة يتخلص بها من مخالب الشهوة ، ومصيدة الشيطان .

وأخيراً توصل إلى طريقة قاسية تعينه على مقاومة شهواته ، ومكافحة وساوس الشيطان .. وذلك بأن يضع إصبعه على الجمر حتى يشتغل بألم الحرق عن التفكير في الحرام ، وهكذا استمر يحرق أصابعـه طوال الليل ، ويكابد الألم ، وهو يخاطب نفسه قائلاً : ذق النار وخف نار الآخرة !!

٣ ــ وهل سمع الاخوة الشباب عن ابن سيرين العالم النفسي المعروف بتفسير الأحلام :

لقد كان شاباً رشيق القوام ، صبيح الوجه ، جميل المنظر ،

وكان يعمل صانعاً لبزاز يبيع الأقمشة ، وذات يوم جاءت امرأة تشتري بعض الأقمشة ، ثم طلبت من البزاز صاحب المتجر ، أن يرسل معها، صانعه ابن سيرين ليحمل معها ما اشترت، ولتعطيه الثمن ، وجاء معها ابن سيرين الشاب الجميل ، وبعد أن دخل معها الدار، أغلقت الباب ، وطلبت منه ممارسة الشهوة المحرمة، ولكنه رفض وامتنع ، فأصرّت عليه .

وحينما رأى نفسه متورطاً طلب منها أن تسمح له بدخول بيت الخلاء أولاً ، فسمحت له بذلك ، فلما دخل بيت الخلاء ، لطخ جسمه كله بالقذارة والنجاسة ، وخرج إليها في تلك الهيئة المعفنة المشينة .

ورأته المرأة على تلك الحالة فاشمأزت منه وطردته من الدار .

وبهذه الحيلة تخلص من ورطة الشهوة والاغراء .

وللشباب .. دور اجتماعي

في مرحلة الشباب تتفجر طاقات الانسان ، وتتفتق مواهبه ويتوفر له الفراغ النفسي والزمني ، بالإضافة إلى ما يمتلك من قوة وقدرة ونشاط ، كل ذلك يؤهله ويشجعه لكي يلعب دوراً مـا في المجتمع .

وقد سبق وأن تحدثنا عن رغبة الشباب الجامحة في أن يمارس إرادته ، ويلعب دوراً يشعر فيه باستقلاله وشخصيته ، ويثبت للآخرين قدرته ورجولته ، بعد أن كان يعيش صغيراً ، خاضعاً لأوامر الآخرين ، ومنصاعاً لإرادتهم .. بعد أن كان يعامل في المجتمع كطفل يريد أن يتعامل مع المجتمع كرجل له شخصيته المستقلة وإرادته الكاملة ..

وإذا فسحنا المجـــال للشباب أن يمارس دوراً اجتماعياً ،

ووجهناه للقيام بدور صالح مفيد يساعد على بناء شخصيته وينمي كفاءاته، ويزوده بالخبرة الاجتماعية، فقد أحسنا الاستفادة من ملابسات مرحلة الشباب ومميزاتها .

وإن لم نهتم بهذه المسألة ، ولم نفسح المجال للشباب في ممارسة رغبته بلعب دور اجتماعي، ضمن توجيه صالح، فستكون النتيجة أحد شيئين :

إمــــا أن تخمد طاقات الشاب ، وتقتل مواهبه ، وتدفن طموحاته .. وإما أن يبادر إلى ممارسة أدوار منحرفة ، والقيام بأعمال فاسدة .

وهذه هي المشكلة التي تعاني منها مجتمعاتنا الإسلاميــة .. فأكثر المجتمعات لا تعرف كيف تتعامل مع الشباب في هذه الناحية.. وكثير من الكبار والذين هم يتحكمون في أمور المجتمع ويمسكون بأزمّته. أغلبهم غير مستعدين لإعطاء أبنائهم الشباب فرصة لممارسة طاقاتهم وكفاءاتهم، ولا يفسحون لهم المجال للقيام بأي دور اجتماعي ، ولا يولونهم شيئاً من الثقــة ، بل يعتبرونهم أطفالاً جاهلين وشباباً طائشين ..

وبذلك ينشأ شبابنا بطموح محدود ، وخبرة قليلة، وطاقات

مكبوتة ذابلة .. أو ينحرفون عن خط الفضيلة ، والصلاح ، حينما تتبناهم التيارات الأخرى وتعطيهم المزيد من الثقة بأنفسهم وتفسح لهم المجال للعب الأدوار المهمة والخطيرة ..

ومن الطبيعي أن ينجرف الشاب إلى الفئة التي تتعامل معه كشخصية قادرة قوية ويترك الذين يتعاملون معه كطفل صغير وكشاب طائش .

ويؤسفنا جداً ان مجتمعنا لا يزال يقيّم الانسان بمقياس العمر والزمن.. وما دام الشباب لم يقطعوا من الحياة إلا مسافة قصيرة فإن مجتمع الكبار لا ينظر إليهم بثقة واحترام ، ولا يفسح لهم مجال التحرك والنشاط. وقد أعلن الرسول الأكرم ﷺ رفض الإسلام الصريح لمقياس العمر والسن وجعل المقياس الصحيح هو الكفاءة والعمل ، والشاب الكفؤ العامل له الأفضلية والأولوية والصدارة على الآخرين . فقد ولّى رسول الله ﷺ عتّاب بن أسيد على مكة وعمره إحدى وعشرون سنة ، وأمره أن يصلي بالناس وهو أول أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة وقال له ﷺ يا عتاب تدري على من استعملتك ؟ استعملتك على أهل الله عز وجل ، ولو أعلم لهم خيراً منك استعملته !

وحينما اعترض بعض أهل مكة على ذلك قال ﷺ : « ولا يحتج محتج منكم في مخـــالفته بصغر سنه فليس الأكبر هو الأفضل ، بل الأفضل هو الأكبر »[1] .

بل إن تعاليم الإسلام تشجع على فسح المجال لهذه الطاقات الشابة كي تنمو وتتقدم ، حتى أن هناك مسألة فقهية ، تذكرها كل الرسائل العلمية هي أنه يصح للصبي غير البالغ أن يؤم زملاءه من الصبيان في صلاة الجماعة ، ليتربى على الثقة بنفسه وليشعر الصبيان حينما تكون لهم صلاة جماعة مستقلة بأن لهم شخصيتهم ولهم دورهم المشابه لدور الكبار .

وحينما نطالع سيرة قادة الإسلام ، وتاريخ حياتهم ، نراهم يتعاملون مع الشباب بتشجيع واحترام، ويمنحون ذوي الكفاءة منهم ثقة عظيمة ، ويحملونه مسؤليات خطيرة .

فنبينا الأعظم محمـد ﷺ يختار مصعب بن عمير الشاب المجاهد ليكون سفيره إلى المدينة، ليقود المجتمع هناك إلى طريق الإسلام ، ويهيء يثرب لتكون منطلق الإسلام ومقر حكومته

---

(١) جوان بالفارسية للشيخ محمد تقي فلسفي ص ٢٠ .

الناشئة ، ويأتي مصعب الشاب في تلك الظروف الحرجـة إلى المدينة ، متحملاً تلك المسؤولية الضخمة ، وقد وفقه الله للنجاح في مهمته بإيمانه الصادق وإخلاصه العميق ، وجهاده الدؤوب .

وفي آخر أيام حياته الشريفه هيأ ﷺ جيشاً كبيراً فيه أكابر الصحابة وشيوخ المسلمين ، لغزو الروم ، وجعل قيـــادة ذلك الجيش لتلك المعركة الخطيرة بيد أسامة بن زيد ، وهو شاب لم يبلغ العشرين بعد من العمر .. وقد كان من ضمن الجيش الخاضع لقيادة أسامة الشاب : أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة ابن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، والزبير ، وأمثالهم ..

وحينما استاء بعض الصحابة من تأمير أسامة بن زيد عليهم مع صغر سنه ، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ غضب غضباً شديداً من تحكم مقاييس الجاهلية ، في عقول كبار الصحابة .. وخرج يخطب في المسلمين مع شدة ألمه ومرضه يومذاك . وكان فيما قال في خطابه :

« أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتكم في تأميري اسامة ، لقد طعنتم في تأميري أباه من

قبله ، وأيم الله إنه كان لخليقاً بالامارة ، وان ابنه من بعـــده لخليق بها »[1] .

وهذا إمامنا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يجد في هشام بن الحكم الشاب اليافع ، طاقات عظيمة ومواهب ضخمة فيبدي له من الاكبار والتقدير والاحترام ، ما يدهش الشيوخ الكبار . .

ففي سفينة البحار أنه (بلغ من مرتبـــة هشام بن الحكم وعلوه عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه دخل عليه بمنى وهو غلام أول ما اختط عارضاه ، وفي مجلسه شيوخ الشيعة ، كحمران بن أعين ، وقيس الماصر ، ويونس بن يعقوب ، وأبي جعفر الأحول ، وغيرهم ، فرفعه على جماعتهم ، وليس فيهم إلا من هو أكبر سناً منه !! .

فلما رأى أبو عبدالله عليه السلام : إن ذلك الفعل كبر على أصحابه ، قال : هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده)[2] .

وأخيراً :

فإن الشاب بقواه وطاقاته لا يمكن أن يعيش الفراغ ، أو

---

(١) النص والاجتهاد ص ٩ .　　(٢) سفينة البحار ج ٢ص ٧١٩ .

يبقى فضولياً وعلى هامش الحياة في المجتمع، وإنما يجب أن يمارس دوراً اجتماعياً،فإن نحن شجعناه على ذلك ووجهناه للقيام بالدور الصالح المفيد ، كسبناه وهيأناه للمستقبل كعنصر صالح فعّال ، وإن تجاهلنا شخصيته واحتقرنا مؤهلاته وقدراته ، ولم نفسح له مجال العمل والنشاط بالاتجاه الصحيح،احتواه الآخرون وصاغوا شخصيته حسب خططهم الفاسدة المنحرفة ..

وقد أثبتت التجارب ان الشاب إذا ما اعطي دوراً اجتماعياً وتحمل مسؤولية دينية ، أصبح أكثر اهتماماً بمجتمعه ، وانشداداً للدين والتزاماً به ..

أما مجرد أن نحث الشباب على الصلاة والصيام ، ونشجعهم على استماع الخطب والمحاضرات، فهذا لا يكفي لضمان استقامتهم وصلاحهم ، ولتربية أخلاقهم ومواهبهم ..

بل يجب إعطاؤهم برامج عمل وخطط تحرك ونشاط،تجعلهم يشعرون بدورهم في المجتمع ، ومسؤوليتهم في الحياة ..

ومن المؤلم جداً أن يتصدى المجتمع لأي شاب مؤمن ، أو فئة طيبة من الشباب ، تمارس نشاطاً اجتماعياً أو تحركاً دينياً !!

يتصدى المجتمع لهم بالتشكيك والتهم والتحدي، والمقاومة !

فكم شاهدنا جماعات من الشباب الطيبين المخلصين لامتهم ، المتحمسين لدينهم ، يريدون القيام بعمل ديني أو اجتماعي ، كتأسيس مكتبة ثقافية ، أو إنشاء صندوق اجتماعي ، أو تكوين لجنة أو هيئة للنشاط الديني والاجتماعي ، بيـد أن المجتمع يبخل عليهم بالتجاوب والتجشيع ، ويمنع عنهم المساعدة والدعم .. بل قد يتحداهم ويقاومهم .. لماذا ؟

ألأن آباءنا وكبار مجتمعنا لا يفهمون طبيعة هـذه المرحلة ، ولا يشعرون بخطورتها ؟

أم لأنهم لا يسمحون لهؤلاء الشباب الناشئين مشاركتهم في في تسيير امور المجتمع وصناعة احداثه ؟

أم ماذا ؟

إنها لجريمة كبرى وخيانة عظيمة !!

الثورة ضد التخلف
والتمرد على الطغيان

في مواجهة هـذا الواقع السيء المأساوي الذي تعيشة امتنا الإسلامية ، مـــا أحوجنا إلى روح الثورة ، وموقف الرفض والتمرد !!

فالحكومات الديكتاتورية الظالمة لا تزال تفرض سيطرتها على شعوبنا المستضعفة وتنفذ فيها سياسة الاستعمار ، وخطط الدول الكبرى ..

والأفكار السلبية المتخلفة ، مـا برحت تعشعش في عقول زعمائنا وشخصياتنا الدينية والاجتماعية ، ومن خلالها يقودون المجتمع ويوجهونه ..

والعادات السيئة والتقاليد البالية لا تزال تخلق المزيد من المشاكل والعقد لمجتمعاتنا ..

تخلف شامل .. ورجعية متحكمة .. وديكتاتورية مسيطرة .. ذلك هو طابع حياتنا ، والسمة العامة لشعوبنا ..

ولكن ما هو موقف المجتمع تجاه هذا الواقع الأليم ؟

إنه الاستسلام الكامل ، والخنوع المذل ، والخضوع الجبان !

لقد تلاشت روح الثورة المتقدة التي كانت تغمر نفوس امتنا .. وانعدمت مواقف الرفض .. وانتهت نفسية التمرد .. وخمدت جذوة المعارضة ..

أصبح كل واحد منا لا تهمه إلا حياته ، ولا يفكر إلا في مصالحه الخاصة .. أما واقع الامة ، وأوضاع الوطن السياسية والاقتصادية ، وحالة المجتمع ، فتلك أشياء لا يتسع لها فكره ولا تحوم حولها اهتماماته ..

وبقينا ولا نزال نعيش هـــذا الواقع المهترىء ، قد تتبدل الوجوه ، وتتغير الشعارات ، وتتعدد المظاهر .. ولكن الواقع هو الواقع في تخلفه وانحطاطه ، وفي جوهر بؤسه ومأساويته ..

وسنبقى نعيش هذا الواقع إلى أن تتولد فينا روح الثورة ،

وتتوفر لدينا نفسية التمرد ، ونمارس مواقف المعارضة والرفض لهذا التخلف المرير ..

يقول تعالى : « إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وإذا كنا نسعى للحصول على هذه الروح الثورية ، ونتمنى امتلاك نفسية الرفض والمعارضة ففي مرحلة الشباب بذور حية واستعداد طبيعي للقيام بهذا الدور المطلوب ..

وذلك للملابسات الآتية :

أولا — لأن الشباب يستشعر بقوة نفسه وعضلاته ، بعد أن كان يعيش ضعف الطفولة .. ولذا يجب أن يمارس هذه القوة في التحدي والتمرد ..

ثانياً — باعتباره يعيش أوائل الحيـــاة وبدايتها ، فهو غير متشبّث بها ولا حريص عليها كحرص الكبار ، بل يعشق المغامرة ، ويود التعرض للأخطار — كما تقدم في الفصل السابق— وهذا ما يؤهله لتقمص روح الثورة والرفض .

ثالثاً — انه غير منشد ولا مرتبط بهذا الواقع، انشداداً قوياً

أو ارتباطاً وثيقاً .. لقصر عمر معايشته لهذا الواقع ، وعدم وجود مصالح كثيرة له تجلب رضاه على ذلك الواقع ..

لأن الإنسان إذا عايش واقعاً معيناً لفترة طويلة ، وتعددت ارتباطاتـه ، ومصالحه بذلك الواقع ، أصبح من الصعب عليه التفكير بتغيير ذلك الواقع ، بل قد يقلقه احتمال تبديله .

(كما كان ينظر « جان جاك روسو » إلى الملكية في فرنسا ، فقد جاء عنه أنه كان يرعبه بجرد أن يتصور فرنسا بدون ملك ، على الرغم من كونه من الدعاة الكبار فكرياً وفلسفياً إلى تطوير الوضع السياسي القائم وقتئذ ، لأن « روسو » هذا نشأ في ظل الملكية ، وتنفس هواها طيلة حياته) .

وهكذا يكون الشباب أقرب فئات المجتمع إلى روح الثورة وأكثرهم استعداداً للمعارضة والرفض .

وقد استفادت كل الرسالات السماوية ، والثورات الاجتماعية من هذه الظاهرة ، فاعتمدت الشباب كطليعة للتغيير ، ووقود للثورة ..

أما في مجتمعاتنا الإسلامية فهناك خطأ كبير يحدث في التعامل مع الشبيبة الناشئة ، فبدلاً من أن توجه روح الثورة لديهم ،

وميول المعارضة والرفض عندهم ضد التخلف السائد، والطغيان المسيطر، بدلاً من ذلك نحاول أن نقتل عند شبابنا روحه الثائرة وحماسه المشتعل في مواجهة هذه الأوضاع، ونعمل على إقناعه بالخنوع لهذا الواقع السيىء، والاستسلام لهذه الأوضاع الفاسدة عن طريق تثبيط العزائم، وبث اليأس في النفوس، وقد نستعين بتحريف المفاهيم الإسلامية لكي نقنع شبابنا بعدم المعارضة والرفض ..

فالتقية واجبة شرعاً وهي تقتضي السكوت والخنوع لأي ظالم يسيطر على الشعب !!

والمقاومة تعني إلقاء النفس في التهلكة، وهـذا محرم في شريعة الإسلام !!

والمعارضة تحتاج إلى فتوى من المجتهد وهو لا يرى في الثورة والمعارضة مصلحة للدين !!

والثورة الآن سابقة لأوانها، ووظيفة المؤمن حالياً هي الانتظار لظهور الحجة !!

ولكن هل تنطلي هذه المفاهيم الخاطئة، والأفكار السلبية على كل الشباب الطامحين للتغيير، والمتحمسين للثورة والمعارضة؟

كلا .

فللناس عقول يفكرون بها ويستعرضون أمامها هذه المفاهيم والأفكار .. فقد ينخدع بها بعض الشباب ، ويستسلمون لهذا الواقع الفاسد ، ويتنازلون عن ثوريتهم ، وحماسهم .. بينما يبحث الآخرون عن طريق ثوري يسلكونه لتغيير الأوضاع وتبديل الواقع ..

وهذه هي فرصة التيارات المناوئة ، والخطط الاستعمارية ، لكي تتصيد شبابنـــا باسم الثورة ، وتحت شعارات الرفض والمعارضة ..

وحينما يجد الشباب أمامه طريقين :

طريق الدين وهو يدعوه إلى الاستسلام والخنوع للتخلف والطغيان (كما يصوره بعض الدعاة الرجعيين) .

وطريق الالحاد وهو يشجعه على الثورة ، ويعطيـــه طموح التقدم والتغيير ..

فمن الطبيعي أن تسلك الأكثرية الاتجاه الثاني لأنه ينسجم مع طبيعتهم الثورية، وميولهم الرافضة، ويتوافق مع طموحات الانسان وآماله الواسعة ..

وفي الحقيقة فإن الإسلام في جوهره وواقعه ثورة ضد التخلف ورفض للظلم والطغيان .. وتوحيد الله تعالى تحت شعار (لا إله إلا الله) إنما يعني الكفر بجميع أصنام الديكتاتورية والطغيان والانحراف ..

وتعـاليم الإسلام تفرض على الانسان المسلم مكافحة الظلم ، ومقاومة الباطل والفساد ، والتمرد على الجور والانحراف .

ولو اننا عرضنا على شبابنا الإسلام الحقيقي بتعاليمه الثورية ، ومناهجه التغييرية الصادقة ، لأصبح شبابنا دعاة مخلصين لحضارة الإسلام ، وثواراً مناضلين لعودة الإسلام إلى الحياة ، وبناء الامة المؤمنة الرائدة ..

الشباب

التضحية في سبيل الله

سبيل الله هو سبيل الحق والعدالة والحرية ..

والعمل في سبيل الله هو العمل من أجـــل تطبيق الحق ، وسيادة العدل وتوفير الحرية ..

وقد علمتنا أحداث التاريخ، وأثبتت لنا معادلات الحياة ان الحق والعدل والحرية لا يمكن أن تتوفر إلا عن طريق العطاء والنضال والتضحية ..

فالشعب الذي يمتلك روح العطاء والتضحية ، ويسلك درب النضال والكفاح يستحق العدالة والحرية ، ويصل إلى أجواء الحق ..

أما الشعب البخيل الجبان فجزاؤه حكم البـــاطل ، وديكتاتورية الظلم وذل الاستعباد .

والذين ينتظرون تطبيق العدل وتوفير الحرية بالدعاء أو التضرع إلى الله ، وبالتمني والآمال !! هؤلاء عليهم أن ينتظروا المزيد من الظلم والكبت والارهاب ..

فللعدالة طريق لا يمكن الوصول إليها بالسير فيه ، وللحرية ثمن لا يمكن تحصيلها إلا بدفعه ..

وطريق العدالة هو النضال ، وثمن الحريـة هو التضحية والفداء ..

قال رسول الله ﷺ : « الخير كله في السيف ، وتحت ظل السيف ،فلا يقيم الناس إلا السيف ،والسيوف مقاليد الجنة » .

وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ينذر المتقاعسين عن التضحية والعطـاء ، ويحذر المتخاذلين عن سلوك طريق النضال والفداء .. فيقول :

« الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ،

---

(١) سفينة البحار ج ١ ص ١٩٥ .

وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ، ألبسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء ، وديّث بالصغار والقماءة .. » .

وجميل جداً قول أحد الشعراء :

وللحريـــة الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق !!

وشباب الامة هم أقدر فئاتها على النضال والتضحية ،وطبيعة مرحلة الشباب التي يعيشونها تدعوهم إلى المغامرة وعدم المبالاة بالحياة ، لظروف نفسية سبق الحديث عنها في الفصل الماضي ..

فعلينا أن نستفيد من هـذه الطبيعة المتوفرة لدى شبابنا ، ونوجههم باتجاه التضحية في سبيل الله ، أي في سبيل تحقيق الحق وتطبيق العدل وتأمين الحرية ..

وإلا فقد توجه هـــذه الظاهرة اتجاهاً خاطئاً ، ومن هنا تتكون عصابات الارهاب ، وجماعات التخريب والانحراف ، والمغامرات الفاسدة .. أو تحتضن التيارات الاخرى شبابنا ، فتجعلهم وقود مخططاتها المعادية ،وجسوراً لمطامعها الاستعمارية .

الوعي الإسلامي هو المطـــلوب ..

يتيقظ التفكير ، ويتفتح الذهن ، وتبدأ علامات الاستفهام تلاصق تفكير الشاب الناشىء ، وتثور التساؤلات الملحة أمام عقله .. فمن أنا ؟

ولماذا جئت إلى الحياة ؟

ومَن الذي خلقني وأوجد الحياة ؟

ما هو المصير الذي ينتظرني والنهاية التي ستؤول اليها حياتي ؟

ما هو موقعي في الكون ودوري في الحياة ؟

وهذا المجتمع الذي وجدت نفسي أعيش فيه ما هو موقفي منه ومن واقعه وأوضاعه ؟

هذه الأسئلة وعشرات مثلها ترتسم أمام ذهن الشاب الناشىء ويظل يبحث عن إجابة شافية مقنعة لها .

وذلك لأنه يعيش فراغاً فكرياً ، فلقد تفتح ذهنه ، وبدأ يفكر في هذه الامور .

وهذه هي فرصة التيارات المنحرفة الدخيلة ، لتقوم بتعبئة فكر الشباب بمفاهيمها الخاطئة والمناوئة ، وتملأ فراغه الذهني بإعطائه إجابات مزيّفة مغلوطة عما يدور في عقله من تساؤلات .

ولذلك تؤكد أحاديث الأئمة القادة (عليهم السلام) وتنبه إلى خطورة مرحلة الشباب من هذه الزاوية .

وتلفت أنظار الآباء والموجهين والواعين في المجتمع إلى أهمية المبادرة لتوعية الأبنـاء والشباب ، وملء فراغهم الفكري ، بحقائق الإسلام ، ومفاهيمه السليمة ..

بل يعتبر الإسلام توعية الولد حق من حقوقـه على والده ، فإذا قصّر الأب في القيام بذلك فإن الله تعالى سيحاسبه ويعاقبه يوم القيامة ، يقول الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام :

«وأما حق ولدك فإن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وانك مسؤول عما وليته به من حسن الأدب

والدلالة على ربه عز وجل ، والمعونة له على طاعته ، فاعمل في أمره عمل يعلم أنه مثاب على الإحسان اليه معاقب على الإساءة إليه »[1] .

ويشير الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الفراغ الفكري الذي يعيشه الشاب الناشىء مما يهيئه لاستقبال أي فكر يعرض عليه . فيقول : « وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما القي فيها من شيء قبلته »[2] .

أما الإمام جعفر الصادق عليه السلام فيحث على الاسراع في توعية الناشئة لتفويت الفرصة على التيارات المنحرفه ، والمبادىء الهدّامة فيقول : « بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليها المرجئة » — المرجئة : تيار فكرى منحرف ظهر في المجتمع الإسلامي آنذاك — .

وحينما نرى الآن موج الانحراف عن خط الإسلام ومبادئه قد جرف أكثرية أبناءنا وشبابنا ، والذين ترامو في أحضان الغرب أو الشرق ، فلا بد لنا من التفكير في جذور المشكلة

---

(١) رسالة الحقوق .

(٢) نهج البلاغة .

وأسبابها .. لمواجهة تيار الضياع والانحراف الذى يهدد مستقبل الامة والرسالة بخطر عظيم .

ليس صحيحاً أن ذلك نابع من خبث وشقاء يكمن في نفوس هؤلاء الناشئين !!.

كما لا يجوز الخضوع لبعض الأفكار الاستسلامية البالية التي تفسر ما حدث وكأنه حتمية تاريخية لا بد منها ، فالفساد لا بد وأن يظهر في البر والبحر ،والأرض تمتلىء جوراً وظلماً لا محالة.. وبالتالي لا يمكن الوقوف أمام حتمية تاريخية وقدر مفروض !!

إن ضعف إقبال شبابنا على الدين وانسياقهم خلف المبادىء المستوردة الدخيلة ، ناشىء من أسباب معينة يفرزها واقعنا المتخلف .

واننا نتحمل مسؤولية ضياع أجيالنا القادمة ، أمام الله وأمام التاريخ ، لأننا سببنا لهم الضياع والانحراف ، بواقعنا المتخلف ، وتقصيرنا في توجيههم وتوعيتهم بالمستوى الصحيح والمطلوب .

تزييف الإسلام :

إن من أهم الأسباب والعوامل التي جعلت شبابنا يتنكرون لمبدئهم ودينهم ، هو هذا الواقع الإسلامي المزيّف، الذى تعيشه مجتمعات الامة في كل مكان .

فحينما يفتح الشاب عينه على مجتمعه المتخلف المتمزق ، الذى تسوده الأنانية ، والطبقية والظلم والكبت والتحجر الفكرى ، يرى ان كل هذه المساوىء تمارس باسم الإسلام، وبلباس ديني.. فالحاكم المستبد الديكتاتورى يحكم الناس باسم الإسلام !

والنظام السيىء المتخلف عليه مسحة إسلامية !

وبعض العقول الرجعية المتحجرة تمارس دور علماء الدين !

والأفكار السلبية الانهزامية تطرح على الناس كمفاهيم إسلامية !

ما دام الإسلام يعرض على الشباب من خلال هـذا الواقع المهترىء والمتخلف فكيف سيكون موقف هؤلاء الشباب من الإسلام ؟

أليس من الطبيعي أن ينفروا من الإسلام ويتنكروا لمبادئه، ويبحثوا عن طريق آخر يسلكونه لتغيير واقع امتهم، وإصلاح مجتمعهم ؟؟

إن الحياة المتخلفة والتي نعيشها بماركة الإسلام ، والأفكار السلبية والرجعية التي نقدمها لأبنائنا كصورة مشوهة عن ثقافة الإسلام.. إن ذلك هو عامل رئيسي في تراجع هذا الجيل الناشىء من الشباب عن التدين والإسلام ..

ماذا يعرفون من الإسلام ؟

قبل أن نتحـــامل على الشباب ، ونصدر ضدهم فتاوى التكفير والتفسيق يجب أن نسأل أنفسنا : هل عرضنا الاسلام على هؤلاء الشباب فرفضوه ؟

والجواب بالطبع : كلا . فأغلبية شبابنـا لا يعرفون عن مبادىء الاسلام وأنظمته وتعاليمه شيئاً . فكل ما كان يعرض في مجتمعاتنا من الاسلام لم يكن يتعدى أحكام الشك ومسائل الحيض والنفاس وما شابه من قضايا الفقه العبادى ! !

أما الجانب الفكرى من الاسلام، أو الجانب الاقتصادى أو السياسي أو الاجتماعي ، فتوفر عرض هذه الجوانب الهامة من الاسلام في صفوف الشباب قليل . أليسَ كذلك ؟

إذن كيف نريـــد من الشباب التمسك والالتزام بدين لا يعرفون عن قيمته وأهمية أنظمته وصلاحية تعاليمه شيئاً في عصر الدعاية والاعلام لمختلف الأنظمة والمبادىء والتيارات ؟؟

إن أكثر الشباب حينما يبتعدون عن الدين وينفرون من الاسلام إنما لأنهم يجهلون هذا الاسلام ولا يعرفون عظمته وقيمته وأهميته .. ونحن مسؤلون جميعاً عن هـذا التقصير في تعريف أبنائنا بالاسلام ، وعرض مبادئه وتعاليمه وأنظمته عليهم .

كيف نعرض الدين ؟ [1]

رأى الملك في منامه رؤيا أزعجته ، فانتبه فزعاً مرعوباً .. واستدعى مفسّراً للأحلام وقصّ عليه رؤياه قائلاً :

رأيت في المنام كأن أسناني تتساقط الواحد تلو الآخر ، فما تأويل ذلك ؟

أطرق المفسر هنيهة ثم رفع رأسه يقول إن صدقت رؤياك فسيموت أهل بيتك كلهم في حياتك .

فغضب الملك وتشاءم من هذا التفسير المؤلم .. وأمر بقتل العالم المفسر للأحلام وطلب حضور مفسر آخر ، فجيء به إليه

(١) مقال للمؤلف نشرته مجلة (الوعي) العمانية العدد الثالث ١٣٩٨هـ.

فقصّ عليه نفس الرؤيا، فأجابه بنفس الجواب السابق.. سيموت أهل بيتك في حياتك .. فأمر بقتله أيضاً .

وجاؤا له بمفسر ثالث فقصّ عليه الرؤيا ، وأنه رأى أسنانه تتساقط الواحد تلو الآخر .. وبعد لحظات تفكير وتأمل قال المفسر الثالث : إن صدقت رؤياك فأنت أطول أهل بيتك عمراً إن شاء الله .

فابتهج الملك وتهللت أسارير وجهه ارتياحاً من هذا التأويل وأمر بإعطاء هذا المفسر جائزة ثمينة !!

تأمل أيها القارىء الكريم .. هل تجد اختلافاً في المعنى بين التفسيرين ؟ كلا ... فهما يثبتان حقيقة واحدة ، هي أن الملك يبقى بعد أن يفقد أهل بيته .. إذاً فلماذا اختلف موقف الملك تجاه المفسرين فأمر بقتل الأولين بينما أمر بالجائزة للثالث ؟

بملاحظة عـــابرة تدرك ان السر يكمن في أسلوب العرض ، فالحقيقة هي هي ولكنها عرضت في الأول بأسلوب يدعو إلى التشاؤم والانزعاج .. بينما في المرة الأخيرة عرضت بأسلوب يطفح بالتفاؤل والارتياح .

أسلوب العرض مهم جداً :

وهنا تظهر لنا أهمية أسلوب عرض أي حقيقة ودوره في تحديد موقف الناس من القضية المطروحة .. فحتى لو كانت القضية حقاً ولكن لم يسعفها الأسلوب الجميل في العرض .. فإن تقبل الناس لها لا يكون مضموناً .. بينما لو كانت باطلة واستخدم لها أسلوب جيد في العرض فقد ينخدع بذلك كثير من الناس ..

والآن ونحن نرى كيف أن الناس قد قلّ إقبالهم على الدين وضعف تمسكهم به .. فكيف نستطيع استقطابهم نحو دينهم وتوعيتهم برسالتهم العظيمة ؟

أعتقد أن من الضروري أن نفكر في أسلوب عرض الدين على الناس .. وفي الطريقة التي نستخدمها في توجيه الآخرين وتوعيتهم ، فإن كثيراً من الدعاة والموجهين لا ينجحون في اختيار الاسلوب الجميل وبذلك لا يوفقون في مهمتهم .. بل قد يحدث العكس فيتولد عند البعض رد فعل واشمئزاز ينفره من الدين .

والقرآن الحكيم يلفتنا إلى أهمية هـذا الجانب في موضوع الدعوة الاسلامية .. ويركز على نوعية الاسلوب المستعمل في

التبليغ .. فيقول : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » .

ويتحدث القرآن عن أخلاق الرسول الأعظم ﷺ وتأثيرها في استقطاب الناس نحو الدين.. فيقول : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

الدعوة والواقع الاجتماعي :

وفي هـــذا العصر حيث تتوفر مختلف وسائل الانحراف والاغراء ، حتى أصبحت جزءاً من حياة الناس اليومية ، وبعد أن تزعزعت ثقة الجيل الحاضر بدينـه بفعل عهود الاستعمار والتخلف ، وبسبب الانفتاح على العالم الغربي والشرقي واللذان يمتلكان كل وسائل الحضارة والصناعة والعلم مع اتجاهها المناوىء للإسلام :

في مثل هذا العصر وهذا الواقع ما هو الاسلوب القادر على استقطاب الناس إلى الدين وإعادة الثقة بمبادئه في نفوسهم ؟

هناك عدة مواصفات يجب أن تتوفر في اسلوب عرض الدين على الناس في هذا العصر .. منها :

١ ـ البساطة والوضوح :

أهم ميزة يتميز بها هـذا العصر هي أنه عصر السرعة ، فالمسافة التي كان الانسان يقطعها في شهر على أقتاب الابل ، أصبح يلتهمها في ساعة على مقعد الطائرة الوثير المريح . والعمل الذي كان الانسان ينفق فيه أياماً من الجهد والتعب صار ينتجه في لحظات وبسهولة فائقة ، كل هذا جعل الانسان يألف السرعة في أعمـاله وتصرفاته وحتى تفكيره .. ويشمئز من أي عمل يتطلب منه جهداً كثيراً ووقتاً طويلاً .

فحتى من النـاحية الفكرية والعلمية أصبحت البساطة والوضوح هما شعار الفكر والعلم في العصر الحديث .. فالقضايا الفلسفية المعقدة والتي كانت في الماضي حكراً على فئة معينة ذات مستوى معين من المعرفة .. صارت في متناول الشاب الناشىء يناقشها ويتخذ موقفه تجاهها ، والمشاكل العلمية في مختلف حقول العلم فقدت هيبتها وأضحت تتعامل مع جميع المستويات بفضل التبسيط والتوضيح الذي تقوم بـه المدارس والمجلات والجرائد والكتب والبرامج المرئية والمسموعة .

وحينما نريد عرض قضايا الاسلام في هـذا العصر ــ عصر

السرعة والبساطة والوضوح - ينبغي أن نتجنب اسلوب التعقيد والغموض ، وأن نطرح قضايا الدين الفكرية والعملية بشكل واضح مبسط .. يستطيع الشاب الناشىء والرجل العادي فهمه واستيعابه .

وهذا هو الاسلوب الذي يستعمله القرآن غالباً .. والذي كان الرسول الأعظم ﷺ يستخدمه في دعوته وتوجيهه .

بينما يميل بعض الموجهين في كتاباتهم ومحاضراتهم إلى استعراض عضلاتهم العلمية وانتقاء أصعب ألفاظ المنجد واصطلاحات اللغة وأساليب المنطق في طرح مفاهيم الدين ومبادئه .

هذا الاسلوب يكون جيداً للأوساط العلمية المستعدة لصرف الجهد والتفكير ، أما الشخص العادي والشاب الناشىء فلا رغبة عنده في هضم الجمل المعقدة واللغة الصعبة ، فقد تعود على الاسلوب الصحفي البسيط .

وقد يستأنف بعض المفكرين والعلماء من الأسفاف بأقلامهم إلى المستويات العادية ، ولكنهم في الواقع يتناسون ان المستويات العادية هي المحتاجة للتوجيه والمعرضة للتضليل ... هـذا من ناحية ... ومن ناحية اخرى فإن الأمر يحتاج إلى نوع من القدرة

الأدبية للمفكر حتى يستطيع تبسيط فكرته وتوضيحها .. فلا فخر له إن هو استرسل في تبيينها بأسلوبه الخاص، لكنه يشكر جداً لو استطاع صبها في قالب بسيط وواضح .

٢ ـ وسائل التأثير :

إن مجرد عرض الفكرة أو القضية بشكل جامد قد لا يؤثر في النفس أو لا يجعل الفكرة تنفــــذ إلى الأعماق .. بينما لو استخدمت الوسائل الحية المتحركة فإنها تعطي للفكرة أبعاداً نفسية مؤثرة ، فالقضية الجميلة والتي تهدف إلى تركيز حقيقة ما من حقائق الدين تستطيع التفاعل مع النفس والتأثير فيها أكثر مما يستطيع الكلام العادي ..

وقد استفاد الآخرون من الاسلوب القصصي فائدة كبيرة فملأوا المكتبات بشتى أنواع القصص المفعمة بأفكارهم ومفاهيمهم وللقرآن الكريم فضل السبق ، حيث يستعرض لقطات كثيرة ومؤثرة من قصص التاريخ وهي بحق أحسن القصص .

وحقائق العلم الحديث ولغة الأرقام والاحصائيات وسيلة فعّالة من وسائل التأثير في هذا العصر ، على الداعية الموجه أن يستعين بها في عرض حقائق الدين ويستشهد بهـــا على واقعية

مفاهيمه وأحكامه .

ومن ناحية اخرى يجب أن لا نترك ساحة الفن تحت استعمار الفساد والانحراف .. كالسينما والمسرحيات والرسوم ، فكلها وسائل بالغة التأثير في النفس ، ولكنها – مع الأسف – تخضع لاحتلال المفسدين والمنحرفين .. فعلى الدعاة والموجهين أن يحاولوا الاستفادة من هذه الوسائل لخدمة أهداف الاسلام ومبادئه .

٣ ـ المجتمع النموذجي :

إنسان هذا العصر يعيش ثقة لا محدودة بحواسه ويريد أن يخضع كل شيء لمشاهدة الحواس وتجربتها .. فهو لا يكتفي من المهندس أن يلقي عليه محاضرة عن تصميم البيت وهيكله وتفصيله بل يطلب منه أن يجسد له هيكل البيت على خريطة يشاهدها ببصره .

وإذا أراد أن يشتري آلة أو سيارة أو أي شيء .. في البدء يبحث عن نموذج (كتالوج) ذلك الشيء ليراه بعينه ثم يحدد موقفه .

ويستعمل الانسان هذه الطريقة حتى مع النظريات الاجتماعية

فلا يكفي أن تشرح له محاسن نظرية ما أو مساوئها ، وإنما يريد أن يرى تلك النظرية مجسدة مجسمة على الصعيد الاجتماعي حتى يحدد موقفه منها .

أما إذا تحدثت له عن روعة نظرية ما ولكنه شاهد واقع أصحاب تلك النظرية يعيشون في حالة مناقضة فإنه لا ولن يثق بسلامة الفكرة .

من هذا المنطلق تأتي ضرورة وجود المجتمع الايماني النموذجي ليكون خير دليل وشاهد على روعة الايمان ... والدعـــاة والموجهون يجب أن يكونوا نواة ذلك المجتمع المطلوب ... فيلتزمون في معاملتهم وسلوكهم وتصرفاتهم بأخلاق الاسلام وآدابه ، ويجعلون من حياتهم تجسيداً حياً لقيم الدين ومفاهيمه.

أما إذا لم يتوفر ذلك في حيـاة الداعية ، فإن التناقض بين دعوته وسلوكه يكون سبباً لنفور الناس من الدين وابتعادهم عنه .

الشباب ...
القدوة ...

تحاول الثقـــافة العملية ، والاعلام الاستعماري ، أن يبرز لشبابنا قدوات مزيّفة .. يوجه بها اهتماماتهم نحو الميوعة واللعب والانحراف ..

لذا نرى التركيز على تضخيم شخصيات الفن ! وفرسان الرياضة ! وأبطال المغامرات الجنسية !.

من أجل أن يجعلوا منهم قدوات يعمل أبناؤنا على تقمص شخصياتهم ، والسير على خطاهم الملتوية ..

وحتى إذا ما أراد هذا الاعلام الاستعماري ، أو شاءت تلك الثقافة العملية أن تستعرض لشبابنا حياة بطل ثائر ، أو مواقف شاب مناضل ، أو سيرة عالم مفكر .. فإنها تحاول استيراد هذه الشخصيات من وراء البحار ومن خلف المحيطات !!

ونحن وإن كنا نحترم كل كفاءة علمية ، ونكبر أى نضال إنساني ، ولكننا في نفس الوقت نرفض الإنفصال عن تاريخنا

المجيد وتراثنا العظيم الذى يزخر بحياة الأبطال المجاهدين، ومواقف الثوار المخلصين ونشاط العلماء المبدعين ...

وتناسي عظماء تاريخنا الاسلامي، وأبطال أمتنا الكريمة، واستجداء شخصيات الامم الاخرى، واستيراد أبطالها كقدوات لشبابنا يعني طمس أصالة هذه الامة، وقطع الصلة بين أجيالها المعاصرة وماضيها العريق !!

مع ملاحظة أخرى : هي ان أبطال الآخرين وشخصياتهم قد لا ينطلقون في مواقفهم من المنطلقات المبدئية التي نؤمن بها، ولا يتحركون ضمن الرؤية التي نعتنقها، ولا يلتزمون بالتعاليم التي نلتزم بها نحن.. وإذا ما أصبحوا قدوات لشبابنا كان هناك خطر الالتباس وتشوش الرؤية ..

وبمراجعة سريعة لأراشيف تاريخنا المجيد نرى للشباب الرسالي دوراً أساسياً وفعالا في إرساء دعائم الرسالة الاسلامية، وبناء الامة المؤمنة المناضلة ..

كان للشباب المؤمن القسط الأكبر في صناعة الثورة الاسلامية واستمرار مسيرتها، وحماية مبادئها ..

فقد كانوا في طليعة السابقين إلى الايمان، والمبادرين إلى

اعتناق الدعوة السماوية .. حتى قال رسول الله ﷺ :

« أوصيكم بالشباب خيراً فإنهم أرق أفئدة ان الله بعثني بشيراً ونذيراً فحالفني الشبان وخالفني الشيوخ » .

وبجهودهم المخلصة ، وتضحياتهم العظيمة ، ودمائهم الزكية الطاهرة ، اخضرّ عود الاسلام ، وأينعت ثماره ..

ولنستعرض الآن بعض السطور من حيـاة اولئك الشباب الرساليين ليكونوا قدوات لشبابنا المسلم المعاصر .

وغيّر المجتمع
بخطـــة حكيمة

إذا كان قدرنا أن نولد في هذا المجتمع المتخلف البائس ، وفي هذه الأجواء الرجعية الخانقة .. فهل من المحتم علينا أن نقضي كل حياتنا في ظل هذه الأوضاع، وتحت سيطرة هذه الأجواء؟

ولماذا لا نعمل على تغيير هذا الواقع ؟

حتى تكون لحياتنا قيمة ، ولوجودنا أثر ..

إن العظماء الذين يمجدهم التاريخ، وتحترمهم الأجيال اولئك الذين رفضوا أن يغادروا الحياة وهي تعيش نفس الأوضاع التي كانت سائدة يوم جاؤا إلى الحياة ...

هم الذين عملوا على تغيير مجتمعهم ، وتبديل واقعه ، وهؤلاء

هم الذين صنعوا التاريخ ورسموا منعطفاته ، فبقيت أسماؤهم خالدة تشهد على دورهم وعظمتهم ، أما سائر الناس ممن جاؤوا إلى المجتمع وذهبوا عنه كما جاؤا ، فهم أشبه شيء بالانعام بل بعضهم أضل سبيلا ، ليس لهم اسم يذكر ولا أثر يبقى ..

فهذا مصعب بن عمير كان شاباً مرفهاً عزيزاً عند والديه جداً فهو وحيدهما المدلل وكان باستطاعته أن يستفيد من هـــذه الظروف في تحقيق مصالحه الشخصية ، وبناء مستقبله المادي ، ولكنه رفض أن يكون كالبهيمة همها علفها ، وصمم أن يمارس دور التغيير والثورة في ذلك المجتمع الجاهلي وأن يصرف طاقات شبابه في سبيل بناء المجتمع المتحضر الايماني .

وانضم مصعب إلى الحركة الاسلامية التي كانت تمـــارس نشاطها بسرية وحذر في مكة المكرمة بقيادة الرسول الأعظم ﷺ .

وقـــد استطاع بانضباطه والتزامه الاسلامي ، وبنشاطه الرسالي أن يمارس دوراً قيادياً في الحركة الرسالية .

وهكذا اختاره الرسول محمد ﷺ ليكون ممثل الرسالة ومندوبها في المدينة المنورة،والتي تقرر أن تصبح قاعدة الاسلام

ومنطلق المجتمع الرسالي ..

وجاء مصعب الشاب إلى المدينة لا يمتلك إلا سلاح الاخلاص ورصيد الايمان بأهدافه التغييرية المقدسة ، في مواجهة أجواء شائكة معقدة .

فهناك تناقضات اجتماعية عويصة بين قبائل المدينة ، وخاصة بين قبيلتي الأوس والخزرج .. وهناك تيارات دينية متعارضة من يهودية ومسيحية ووثنية .. وهناك أجواء الفساد التي يعيشها شباب المجتمع الجاهلي من خمر وقمار وانحراف ..

ولكن مصعب الشاب الرسالي لا مجال له إلا العمل على تغيير هـذا المجتمع مهما كان التغيير شاقاً ، ومهما كان الطريق شائكاً ..

ووضع خطة حكيمة ، على ضوء توجيهات القيادة الرسالية وباشر العمل بإخلاص وتصميم .. وكان يواجه المشاكل والازمات بصمود وإيمان ..

وما مضت إلا فترة بسيطة ، وإذا بالحركة الرسالية تمتلك كوادر جيدة ، وجماهير مؤمنة بأهداف الرسالة ، وإذا بالمدينة

مهيأة لاستقبال الرسول القائد .. والذي جاء إلى المدينة وأعلن قيام دولة الاسلام الشامخة ..

وهكذا تمكن الشاب الرسالي مصعب بن عمير من تغيير مجتمع المدينة ، من مجتمع متخلّف إلى مجتمع رسالي متحضر وشق بذلك الطريق لانتشار نور الاسلام ، واتساع رقعته ..

كرّس شبابه
لخــــدمة الرسالة :

يتفنن الاستعمار وأذنابــه من الحكام والعملاء ، في الوسائل والأساليب التي يضيّعون بها شباب أبنائنا وأعز مراحل حياتهم فمن مناهج دراسية خاطئة ووسائل أعلام سخيفة ، واهتمامات مزيفة مختلفة . .

وإن الانسان ليتعجب من هــذه المبالغ الطائلة التي تصرفها الحكومات من ثروة الشعب ، في مجالات الرياضة والفن والترفيه ! أكل ذلك رغبة من الحكومات في إراحة شعوبها وترفيهها ؟

كلا فلو كانت هذه الحكومات تريد راحة الشعب ، لعملت له مشاريع الصناعة ، بل ووسائل الحاجة الضرورية للحياة ،

فأكثر شعوبنا تشكو من عدم توفر الرعاية الصحية ، والضمان الاجتماعي ، حيث لا بيت للسكن ، ولا إعانة للحياة ..

وبعد ذلك تنفق الحكومة على الرياضة والفن بسخاء حاتمي ، لماذا إذن ؟

والجواب واضح جداً ، فهي تريد تفويت فرصة الشباب على أمتنا دون أن نستفيد منها بشيء في صالح مستقبلها ..

تريد شغل أوقات شبابنا وتزييف اهتماماتهم حتى لا يتفرغوا للتفكير في واقع امتهم ، والتخطيط لانقاذها ..

تريد تذويب وإضاعة كفاءات أبنائنا ومواهبهم لنبقى دائماً أسراء للكفاءات والخبرات الأجنبية ..

ومع الأسف الشديد فإن أكثر شبابنا راحوا ضحية هـذه الأهداف الخبيثة والخطط الاستعمارية ..

فأكثر شبابنا يصرف أثمن ساعات حياته على الرياضة واللهو . ويسعى نحو بطولة في ميدان لعب كرة القدم مثلاً .. ويعيش صراعاً ومعركة بين الأنـــدية وفي المباريات الرياضية بدلاً من المعركة الحقيقية التي يجب أن يخوضها دفاعاً عن مصلحة الأمة ورسالتها !؟

أما آن أن يعي شبابنا أبعاد المؤامرة ، ويعرضوا عن اللهو واللعب ، ويوجهوا اهتماماتهم وطاقاتهم نحو قضاياهم المصيرية ؟

وكم لنا في تاريخنا المجيد من قدوات كرّسوا شبابهم من أجل خدمة الرسالة ولبناء مستقبل الأمة ..

فهذا إمامنا علي بن أبي طالب عليه السلام من حداثة سنه ونعومة أظفاره يضع نفسه تحت خدمة الرسالة الإسلامية، فقد كان أول الناس إسلاماً وتصديقاً بنبوة الرسول محمد صلى الله عليه وآله رغم أن عمره ما كان يتجاوز التاسعة..ولما كان أطفال مكة بإيعاز من سفهائها يؤذون النبي ويرمونه بالحجارة حينما يمر في الطريق .. كان علي ابن العاشرة من العمر مرافقاً للرسول في طريقه يدفع عنه الأذى ويؤدب أبناء المشركين ..

وفي ليلة الهجرة كانت قمة التضحية والفداء من علي الشاب المؤمن ، فقد أحدق المشركون ببيت النبي يريدون الهجوم عليه فجراً واغتياله ، فلا بد من خروج الرسول من داره مع إيهام القوم بوجوده في الدار لفترة يتمكن فيها من قطع طريق الهجرة وطلب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من أخيه وابن عمه الشاب علي أن يقوم بدور التمويه على الأعـــداء ، بأن يضجع على فراش الرسول إلى الصباح حيث يهجم القوم ..

ورغم خطورة المغامرة فقد بات على فراش رسول الله ﷺ ينتظر سيوف القوم وحرابهم ، بكل ثقة وإقدام !!

وبعـد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة أصبح علي ممثله في مكة ، يؤدي الأمانات ، ويرد الودائع ، ويرعى الحركة الإسلامية ويحمي عائلة الرسول ﷺ ..

ثم هاجر مع عائلة الرسول ﷺ إلى المدينة ، رغم معارضة المشركين ومطاردتهم له في الطريق ..

وفي المدينـة كان إلى جنب رسول الله ﷺ في كل أعماله ونشاطاته وحركاته ، وعلى يديه كتب الله النصر للإسلام في جميع المعارك التي خاضها ..

هكذا كرّس علي شبابه في خدمة الرسالة ، إلى أن أدركه الشيب واستشهد في سبيل الله تعالى .

وقد قال عليه السلام قرب وفاته وحق له أن يقول :

« لقد نهضت بها وأنا دون العشرين ، وها أنا وقد ذرفت على الستين .. » .

الشاب :

الثـــائر الشهيد

في الثامنة عشر من العمر حيث روعة الشباب وزهرة الحياة وكان يتمتع بجمال ساحر، وخلق نبيل مما جعله أشبه الناس خلقاً وخلقاً بجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يقول أبوه الإمام الحسين عليه السلام.

إنه علي بن الحسين الأكبر، الذي رآه أحد الشعراء فانسابت قريحته يقول :

لم ترَ عين نظرت مثـــله
من محتف يمشي ومن ناعل
أعني ابن ليلى ذا السدى والندى
أعني ابن بنت الحسب الفاضل

لا يؤثر الدنيـــا على دينه
ولا يبيـع الحق بالبـــاطل

كان هذا الشاب العظيم مرافقاً لأبيه الحسين عليه السلام في ثورته ضد الظلم والطغيان الأموي ..

ولم يكن خروجه مع أبيه نوعاً من التعلق العـــاطفي أو الارتباط العائلي ، بل كان عن قناعة وإيمان بالهدف ، واندفاع للتضحية في سبيل الله ..

ففي أثناء الطريق إلى ساحة النضال والفداء ، يذكر المؤرخون ان لحظات من النوم أغمضت عيني قـائد الثورة الإمام الحسين عليه السلام في إحدى ساعات السير ، ولما انتبه الإمام كان يردد : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

وكان ولده علي الأكبر إلى جانبه فسأله قائلاً :

يا أبتِ لم استرجعت لا أراك الله سوءاً ؟

أجابه الإمام : يا ولدي خفقت خفقة فرأيت فارساً وهو يقول : القوم يسيرون والمنايا تسير بهم !

قال علي الأكبر : يا أبتِ ألسنا على الحق ؟

وفوراً أجابه أبوه الإمام : بلى نحن والله على الحق .

قال علي الأكبر : إذاً والله لا نبالي أوقعنا على الموت أو وقع الموت علينا !!

فالمسألة عنده ليست مسألة أبيه وإنما هي قضية الحق ، وفي سبيل الحق يهون تحمل الآلام واستقبال الموت ..

وقد حاول المعسكر اجتذاب علي الأكبر إلى صفوفه ، أو على الأقل فصله عن معسكر أبيه مستغلين وجود ارتباط نسبي بين علي الأكبر وبين يزيد بن معاوية الطاغية المتحكم في مصير الامة بالباطل ، فأم علي الأكبر هي ليلى بنت أبي مرة بن عروة ابن مسعود الثقفي ، وأمها ميمونة بنت أبي سفيان اخت حبيبة زوجة الرسول ﷺ ، إذن فجدة علي الأكبر اخت معاوية وعمة يزيد !!

فناداه بعض قادة جيش ابن سعد، أثناء المعركة وحين أصبح من الواضح أن مصير أصحاب الحسين وأهل بيته هو القتل والشهادة ، قالوا لعلي الأكبر : إن لك رحماً بأمير المؤمنين يزيد ولا نريد بك سوءاً فهلمّ إلينا !!

ولكن علياً الشاب الثائر ما كان لينخدع بمثل هذه الاغراءات أو يستجيب لنداءات السوء والخيانة ، فردّ عليهم فوراً بقوله :

ويلكم لرحم رسول الله أولى بأن تراعى من رحم ابن آكلة الأكباد!

إنه يذكرهم بالقيم الباطلة التي اتخذوها بديلاً عن قيم الحق والرشاد.. فأصبحوا يقدسون السلطة الظالمة ويحترمون ارتباطاتها بينما يضربون بكرامة النبي وبحقوق أسرته عرض الحائط..

وخاض معركة الجهاد في سبيل الله، وأبدى شجاعة أذهل بها الأعداء، الذين انتدبوا أشجع فرسانهم لمجابهته.. وأخيراً سقط الشاب العظيم صريعاً على أرض الشهادة، ليكتب بدمه وصية لشباب الأجيال المؤمنة، أن يقوموا بدورهم في خدمة الرسالة، والدفاع عن مصالح الامة.. أن يكونوا شباباً ثائرين يبحثون عن الشهادة في سبيل الله.. ولا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم..

أحاديث
عن الشباب

فليتفقه الشباب :

عن الباقر عليه السلام : « لو أتيت بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه في الدين لا وجعته »[1] .

العلم في مرحلة الشباب :

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من تعلم في شبابه كان بمنزلة الرسم في الحجر »[2] .

الشاب يتفاعل مع القرآن :

عن أبي عبد الله عليه السلام : « من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه ، وجعله الله عز وجل مع السفرة الكرام البررة ، وكان القرآن حجيزاً عنه يوم القيامة »[3] .

اغتنم شبابك :

في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر :

---

(١) سفينة البحار ج ١ ، ص ٦٨٠ .

(٢) و (٣) أصول الكافي ج ٢ ص ٦٠٣ .

« يا أبا ذر اغتنم خمساً قبل خمس : شـــبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » [١] .

معاشر الشباب : اطلبوا الآخرة :

قال سلام بن مسكين . قال لنا الحسن عليه السلام :

« يا معاشر الشباب عليكم بطلب الآخرة ، فقد والله رأينا قوماً طلبوا الآخرة فأصابوا الدنيا والآخرة ، ووالله ما رأينا من طلب الدنيا فأصاب الآخرة » [٢] .

الامام المهدي يأتي شاباً :

عن أبي عبد الله عليه السلام : « لو قـــام القائم لأنكره الناس ، لأنه يرجع إليهم شاباً موفقاً .. وان من أعظم البليـة أن يخرج إليهم شاباً وهم يحسبونه شيخاً كبيراً » [٣] .

---

(١) أبو ذر ثائر العدالة الاسلامية ص ٢٣ .

(٢) الارشاد ص ٥٧ .

(٣) الغيبة الكبرى ص ١١ .

الشباب أسرع الى الخير :

كان أبو جعفر الأحول من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام ، وكان يعمل على نشر مبادىء الإسلام وتعاليم أهل البيت عليهم السلام ، سأله الإمام الصادق عليه السلام ذات يوم : كيف رأيت مسارعة الناس إلى هذا الأمر ودخولهم فيه ؟

قال أبو جعفر : والله انهم لقليل .

فقال الإمام الصادق عليه السلام : « عليك بالاحداث فإنهم أسرع إلى كل خير »[1] .

بادر شبابك :

عن الإمام علي عليه السلام : « بادر شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك »[2] .

أيها الشباب : جدوا واجتهدوا :

عن النبي صلى الله عليه وآله : « إن لله ملكاً ينزل كل ليلة فينادي يا أبناء العشرين جدوا واجتهدوا »[3] .

---

(١) جوان بالفارسية للشيخ محمد تقي فلسفي ص ٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٦٠ .   (٣) المصدر نفسه ص ٦٦ .

الفراغ الفكري للشباب :

عن الامام علي عليه السلام : « وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته »[1] .

تحصنوا بالعلم والأدب :

عن الامام علي عليه السلام : « يا معشر الفتيان حصنوا أعراضكم بالأدب ودينكم بالعلم »[2] .

الشاب إما عالم أو متعلم :

عن الامام الصادق عليه السلام : « لست أحب أن أرى الشاب منكم إلا غادياً في حالين ، إما عالماً أو متعلماً ، فإن لم يفعل فرّط ، فإن فرّط ضيّع ، فإن ضيّع أثم ، وإن أثم سكن النار والذي بعث محمداً بالحق »[3] .

الشاب يجهد نفسه :

عن الامام علي عليه السلام : « من لم يجهد نفسه في صغره لم ينبل في كبره »[4] .

---

(١) المصدر السابق ص ٦٩ .
(٢) المصدر السابق ص ١٩٤ .
(٣) المصدر السابق ص ١٩٧ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٧٨ .

في الشباب أحسن :

عن النبي صلى الله عليه وآله : « التوبة حسنة لكنه في الشباب أحسن »[1] .

من يعرف فضل الشباب :

عن الامام علي عليه السلام : « شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما : الشباب والعافية »[2] .

ستسأل عن شبابك :

عن النبي محمد صلى الله عليه وآله : « لا تزول قدما عبد على الصراط يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه »[3] .

أين أضعت شبابك :

عن الصادق عليه السلام : كان فيما وعظ به لقمان ابنه :

يا بني واعلم أنك ستسأل غداً إذا وقفت بين يدي الله عز

(١) المصدر السابق ص ٢٩٧ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ص ١٩٩ .
(٣) المصدز السابق ص ٧ .

وجل عن أربع :

شبابك فيما أبليته ؟

وعمرك فيما أفنيته ؟

ومالك مما اكتسبته ؟

وفيما أنفقته ؟ [1] .

شباب في ظل الله :

عن النبي صلى الله عليه وآله : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الامام العدل ، وشاب نشأ في عبادة الله ... » [2] .

الشاب التائب :

عن النبي صلى الله عليه وآله : « ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب » [3] .

المبادرة لتوعية الشباب :

عن الامام جعفر الصادق عليه السلام : « بادروا أحداثكم بالحديث

---

(١) المصدر ص ٨ . (٢) المصدر ص ٣٥٠ .

(٣) المصدر ص ٣٥٠ .

قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة »[1] .

أقطاب التخلف يعزلهم الشباب :

وعن الامام جعفر الصادق عليه السلام : يا معشر الأحداث اتقوا الله ولا تأتوا الرؤساء ودعوهم حتى يصيروا ذنابا »[2] .

الشباب يتحالفون مع النبي صلى الله عليه وآله :

عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله : « أوصيكم بالشبان خيراً فإنهم أرق أفئدة ، إن الله بعثني بشيراً ونذيراً فحالفني الشبان ، وخالفني الشيوخ ،ثم قرأ: فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم »[3].

بالعلم يستعدون للسيادة :

عن الامام علي عليه السلام : « تعلموا العلم صغاراً تسودوا بـه كباراً »[4] .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٥٢ .
(٢) المصدر السابق ص ٦٦ ، الجزء الثاني .
(٣) المصدر السابق ص ٢٤٨ .
(٤) المصدر ص ٤٠٠ .

إذا أردت التقدم :

عن الامام علي عليه السلام : « من لم يتعلم في الصغر لم يتقدم في الكبر » [1] .

ماذا يتعلم الشباب :

عن الامام علي عليه السلام : « أولى الأشياء أن يتعلمها الأحداث، الأشياء التي إذا صاروا رجالاً احتاجوا إليها » [2] .

تحذير من انحراف الشباب :

عن رسول الله صلى الله عليه وآله : كيف بكم إذا فسد نساؤكم ، وفسق شبابكم ، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر » [3] .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٠٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٠١ .

(٣) تحف العقول ص ٤١ .

التوجيه في مرحلة الشباب :

جاء في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولده الامام الحسن بن علي عليه السلام : « وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية مـا ألقي فيها من شيء قبلته ، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ، ويشتغل لبك ، لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد كفيت مؤنة الطلب وعوفيت علاج التجربة ، فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه واستبان لك منه ما ربما أظلم علينا فيه »[1] .

الشباب قد يكون سكراً :

عن أمير المؤمنين عليه السلام : أصناف السكر أربعة : « سكر الشباب ، وسكر المال ، وسكر النوم ، وسكر الملك »[2] .

الشباب وخطر الانحراف :

عن أمير المؤمنين عليه السلام : « وقد تأتي عليه (أي الانسان)

---

(١) تحف العقول ص ٥٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٨٨ .

حالات في قوته وشبابه يهم بالخطيئــة ، فتشجعه روح القوة ، وتزين له روح الشهوة ، وتقوده روح البدن حتى توقعــه في الخطيئة ، فإذا لامسها تفصّى من الايمان ، وتفصّى الايمان منه »[1] .

(١) المصدر ص ١٣٤ .

مَكْتَبَةُ لِسَانُ العَرَب
أ. علاء الدين شوقي
رابط بديل
lisanerab.com
www.lisanarb.com
twitter مكتبة لسان العرب
facebook مكتبة لسان العرب
instagram مكتبة لسان العرب

الفهرس